بريد القراء – مصدر لتكريس الصحافة التفاعلية

أ.م.د أحمد عبد المجيد (*)

المقدمة

يطلق المشتغلون في الصحافة المطبوعة اسماء عدة على مصادر حصولهم على المعلومات من القراء، ويجتهد بعضهم في حجم الاهتمام بهذه المصادر، ويبالغ اخرون فيعدونها كنزا من كنوز المعرفة الميدانية التي تجعل الصحيفة على صلة حية بالواقع. وجرى تقليد في الصحف بافراد صفحة او اكثر لاستيعاب وعرض ما يعرف برسائل القراء، أو بريد القراء واشترط المهنيون جملة من المعايير في التعامل مع هذه المصادر، التي يرتقي بعضها الى مستوى مادة قابلة للنشر مباشرة او لعلها توازي مستوى مادة صحفية يمكن عدها فناً من فنون التحرير الصحفي المعروفة.

ويؤخذ على الصحف احياناً عدم اهتمامها أو اهمالها رسائل القراء او مساهماتهم، مما يعني في المحصلة الاخيرة اهمال مصدر اساسي من مصادر المعلومات من جهة وتقويض جسر من جسور التواصل المهمة مع الرأي العام.

ودأبت الصحف الكبرى في بريطانيا والولايات المتحدة على اصدار كتب في اطار سلسلة تؤرخ مسيرة الصحافة يكون جزء من حلقاتها اشهر ما تلقته من رسائل ومساهمات القراء، التي قد يتجاوز بعضها نصوصا مكتوبة الى رسوم ووثائق تأخذ طابع الاهمية البالغة بعد مضي عقود من النشر او حتى الاهمال. وللدلالة على القيمة التاريخية لهذه الرسائل اصدرت صحيفة الـ (ديلي تلغراف) البريطانية كتاباً جديداً

من هذا النوع بعنوان (ما لم ينشر من رسائل القراء). وتقول ان ما تنشره عادة مما يصل اليها بالبريد منهم لايتجاوز 10 بالمئة من الرسائل ، مطبوعة وصوتية والكترونية. وكانت الديلي قد أصدرت في سنوات سابقة مختارات من افتتاحياتها من حرب القرم 1856 الى حرب العراق 2003، واصدرت (تقارير المراسلين الحربيين) وسلسلة (قرن من الكاريكتير) فضلا عن (مختارات مما نشر من رسائل القراء).

قنوات الحصول على الرسائل

جرت العادة ان تصل رسائل القراء عبر ثلاث قنوات اساسية:

1-البريد العادي

2-الاتصال المباشر بالهاتف

3-البريد الالكتروني

وقد تصل بعض الرسائل من خلال لقاءات المحررين بالجمهور في المناسبات التي تستدعي حضور او تواصل الطرفين. وتؤخذ الرسائل في هذه الحالة شفاهياً أو مكتوبة باليد او مطبوعة.

وللاهمية التي تنطوي عليها الرسائل غالباً ما تكلف الصحف العريقة مثل (التايمز) و(الديلي تلغراف) و(واشنطن بوست) و(نيويورك تايمز) محررين ذوي كفاءة لاعداد محتوى الرسائل المهمة للنشر في الصفحات المهيأة لهذا الغرض. وقد يكلف قسم خاص لتلقي الرسائل ومراجعتها واعدادها للنشر. وتخضع جميع هذه الرسائل للمعايير المهنية ، فاختيار ماينشر في بريد القراء بالصحف البريطانية يخضع لقواعد معينة يستحيل في مدرسة فليت ستريت ان تتغير تحت أي ظرف او تخضع لمزاج المحرر[1]. وهذه القاعدة قد تخرق في الصحف الاخرى أو تلك التي تفتقر الى الاحتراف ويحتاج العاملون فيها الى التأهيل، حيث يسود الاهمال والتحريف والمبالغة والاستنساخ والسطو الصحفي فضلاً على عدم تقدير قيمة رسائل القراء في ادامة زخم انتشار الصحيفة. ذلك ان القارئ يحترم الصحيفة بمقدار ما توليه هي ذاتها له من اهتمام ولمساهماته من رعاية وتبن.

ولطالما يصاب القراء بالاحباط ويلازمهم شعور بعدم الثقة بالصحيفة اذا تجاهل العاملون فيها الرسائل وتجاوزوا الافكار والملاحظات والرؤى التي تتضمنها. ويتضاعف هذا الشعور لدى القراء من المتعلمين والطبقة الوسطى وجمهور من الاكاديميين بل وايضا السياسيين من منطلق الالتزام الذي يظهره القراء ازاء رسائلهم وتقديرهم لها والهوس الذي قد يلازمهم نتيجة ادمانهم على قراءة الصحف. فالقارئ اي قارئ لايكتفي، اذا كان على قدر عال من الوعي والثقافة ، بالحصول على المعارف من الصحيفة بما فيها المعارف الناجمة عن متابعة الاخبار حسب، بل يحرص على احداث جو من التفاعل وابتداع نوع من الوسائط في الوثوب الى ملاكات الصحيفة، ولاسيما اولئك الذين يتولون مواقع بارزة فيها او الذين يحررون زوايا وصفحات ويكتبون اعمدة صحفية تنطوي على آراء ومعالجات جريئة.

وقد إطلعنا على رسائل حادة احياناً من قراء لازمهم سوء الظن بالصحيفة بعد انتظار مواد ارسلوها للنشر ولكنها لم تتصدر الصفحات او انها اختفت لاي سبب نتيجة البريد أو خلل التقنية او اهمال المحرر. فمثل هذه الرسائل في الغالب تتضمن عتباً يصل الى الايحاء بالتقريع والتجريح لان مادة صحفية ارسلت ولم تنشر بعد مرور مدة معقولة من الانتظار. ان مثل هذا الشعور يبدو طبيعياً اذا كان القارئ لايرى اهمية اكبر لما ينشر من رسائل اخرى او مواد صحفية لكتاب ومحررين يرى القارئ انهم ليسوا اكفأ منه.

ان مشكلة التواصل التي تمليها قواعد الاهتمام ببريد القراء ومعايير النشر من جهة ووقوع ما يمكن عده تشويشاً في الاتصال بين الصحيفة وقرائها من جهة اخرى، هي واحدة من المشاكل التي يتعين على الصحف دراستها وتذليلها. وفي الحالة السابقة فان عدم قدرة الصحيفة على ابلاغ القارئ بعدم وصول رسائله أو عدم ترك عنوانه بالنسبة للرسائل التي تصل بالبريد العادي يفاقم المشكلة. وقد يلجأ المحرر المعني في مثل هذه الاحوال الى نشر

رد في الحقل المخصص ببريد القراء، وهو اجراء قد ينطوي على أثر سلبي بالنسبة للقارئ ذاته.

وغالباً ما يخاطب القراء العالم عبر المحرر بعده صحفياً محترفاً يمثل السلطة الرابعة. وهي ثقة لا تمنح الا بامتياز لمن يستحقها فيما تنتزع عنه بامتياز ايضاً اذا لم يحسن طرق المحافظة عليها من خلال اهتمام اكبر ببريد القراء.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة فان بعض رؤساء تحرير الصحف يفردون وقتاً من عملهم في مراجعة رسائل القراء وتحويل ما يتعلق منها بالاقسام الصحفية الاخرى او المحرر المختص او كاتب العمود الصحفي الذي تناول مشكلة أو ناقش قضية يتحفظ القراء عليها او يتولون معالجتها برؤى متعددة او يؤيدون الكاتب فيما يذهب اليه . وفي زيارة الى مجلة عربية مهاجرة في لندن عام 1990 فوجئت برئيس تحريرها منكباً على كمية كبيرة من الرسائل وصلت الى المجلة عبر البريد العادي من قراء في البلاد العربية. وكان يذيل بعضها ويحيل بعضها الى محررين أو يوعز بنشر نصوص بعضها بالكامل، او يلتقط من بعضها افكاراً لاجراء مقابلات او القيام بتحقيقات أو ملفات صحفية. وقال (انه يقتطع جزءا من نهاره بمراجعة بريد القراء كل يوم)[2].

ويقول عادل درويش وهو كاتب عربي يعمل في الصحافة البريطانية منذ عقود[3]:

برغم الغياب التام لاي شتائم او تجريح شخصي لكاتب طوال تاريخ الصحافة البريطانية بل لا يدخل المزاج الشخصي للمحرر في الاعتبار (بدليل تنقل محرري بريد القراء من صحافة اليمين كالديلي ميل ، الى العمل في صحافة اقصى اليسار كالغارديان، لاسباب مادية او عائلية كتغيير محل السكن، دون اي تغير في مقاييس اختيارهم للبريد محل النشر بعض الرسائل قد تتعلق بتفاصيل شخصية، او متابعات مهنية، فيحولها محرر القسم الى الصحفي او الكاتب الذي تناول الموضوع ليتصل بصاحب الرسالة بشكل شخصي ، ويستأذنه في متابعة

الموضوع بتحقيق صحفي او برسالة خاصة. وهذا يجرني للتعليق فلا يمكن ان يلتفت قسم بريد القراء في اي صحيفة مررت بها في حياتي المهنية 40 عاما الى خطاب غير موقع باسم صاحبه الحقيقي وعنوان بيته ورقم تليفونه وهي مهمة السكرتيرة والباحث في القسم للاتصال به، واذا كان اسما وهميا او حركيا، فمصير الرسالة سلة المهملات، واذا تضمن اهانات واقتفي اثر صاحب الرسالة تحول الى النيابة بتهمة انتحال شخصية). ان هذه القضية تثير ما يعرف بظاهرة الاقصاء التي يمارسها بعض رؤساء التحرير ازاء رسائل القراء. وبهذا الصدد ثمة اتهامات لهم بممارسة (الاقصائية)[4] بجميع انواعها واشكالها ضد القراء. ويوصف هذا النمط من رؤساء التحرير بتعمد التهرب من الاجابة على تساؤلات مهمة تتضمنها الرسائل . واكد احد رؤساء تحرير الصحف السعودية (ان الاقصائية ليست حالة يمكن الوقوف عليها وانما هي ممارسة تاريخية وهي موجودة في كل مكان ولا تعني عدم نشر مقال ولكن الاقصاء هو الذي يتم بوعي وعن قصد)[5]. فيما يوصف لدى بعض المحررين بانه بمثابة رقيب او الاخ الاكبر الذي لايعجبه العجب . فهو يمارس الغطرسة على القراء وينظر الى ما يكتبونه باستصغار[6].

التفاعلية ورسائل القراء

نقصد بـ (التفاعلية) في أبرز مظاهرها نشاط او عملية تقنية اتصالية تتيح امكانية ارسال معلومات او طلبات وتلقي اجابات بصفة شخصية بحتة. وهو نتاج تكنولوجي أفرزه تطور وظائف الحاسوب والتلفزيون والهاتف النقال والبث الفضائي معاً مما يجعل جمهور النسخة الالكترونية للصحيفة محاوراً او مساهماً في انجاز بعض موادها التحريرية[7]، ويذهب بعض فقهاء الاتصال الى تعريف (التفاعلية) بانها (الاتصال باتجاهين بين المصدر والمتلقي او بصفة اوسع الاتصال المتعدد الاتجاهات بين أي عدد من المصادر والمتلقين) ويرى اخرون انها (الامكانات المتوافرة للجمهور للتواصل مع الصحفي ورد الفعل على مايقرأه

ويشاهده ويسمعه)[8]. ويمثل مفهوم (الاتصالية) البديل الموضوعي للاتصال الاحادي النظرة ويقابل ما بات يعرف بـ (التعددية الصحفية) الذي يقود الى ديمقراطية المعلومات اي عدم حصرها بمصدر واحد. وتهدف التفاعلية كنظام اتصالي جديد الى تلقي المعلومات بطريقة ديناميكية فعالة، وترى المؤسسات الصحفية التي اعتمدت هذا النظام الحديث انها تحقق ثلاثية (الدقة والسرعة والمنافسة) وتدفع بالاعلام الرقمي ليواكب التنمية الشاملة بما يسهم في مجالات الاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي بعدها مطلباً دولياً دالاً على نظام حكم دستوري تعددي يضمن ارادة الاختيار الحر للمواطنين.

ان بريد القراء يضفي طابعاُ من الحركة والتفاعل والنشاط على الصحيفة وبدون هذا الشريان ، الذي يغذي احياناً مراكز مهمة في الصحف يبدو المحتوى جافاً تعوزه التفاعلية، التي غدت اليوم سمة عصرية في تكنولوجيا الاتصال وفي المواقع الالكترونية البديلة.

ومثل هذه التفاعلية تشمل:

1. تقديم مقترحات لتطوير العمل في المؤسسة.
2. تأشير معوقات او سلبيات في نظام توزيع الصحيفة.
3. الارشاد الى حلول غير مطروقة، اي لاترد في ادبيات النشر ولا في معالجات الصحيفة لبعض الشؤون العامة.
4. مساعدة المحررين ولاسيما كتاب الرأي في الحصول على معلومات ميدانية وافكار لموضوعاتهم. فالكتاب ، احياناً ، يبدون عاجزين عن التقاط فكرة جديدة يومية او اسبوعية لادامة زخم مقالاتهم. مما يصبح من المنطقي الاستعانة ببريد القراء في الحصول على موضوع للتناول. واكدت المعطيات ان بريد القراء يزخر بمثل هذه الموضوعات كما

يعرض افكاراً جريئة تدفع الكاتب الى الخوض في موضوع ما تم وضع خطوط حمر تحته سواء من لدن واقع سياسي قائم ام ظرف اجتماعي طارئ. وفي بيئة مثل العراق يعاني محرر صفحة (الاغلبية الصامتة) المكلفة بنشر بريد القراء (من الاراء الحادة على مستوى السياسة او الدين او المذهب لكن من خلال الوسطية في الرأي بدأت ترد كتابات تنحو منحى التأكيد على التآخي ونبذ الاقصاء)[9]. ويدرك كتاب الاعمدة الصحفية اهمية بريد القراء اكثر من سواهم من أقرانهم المحررين وكتاب الرأي بوصفهم يواظبون على ادامة المساحة المخصصة لمقالاتهم ، يومياً أو اسبوعياً، بحسب موعد نشرها او التوقيتات المتفق عليها مع هيئة التحرير.

وبالمقابل فان كثيراً مما يطرحه القراء في رسائلهم سواء ما يتعلق منها بمعاناتهم وهمومهم ام ازماتهم ام مشاكل مناطقهم يجري حلها او معالجتها بقرارات واجراءات حكومية فورية بعد النشر. وتحفل ملفات الصحف بآلاف النماذج من الرسائل التي وجدت طريقاً من هذا النوع الى الادارات الحكومية مثلما تحولت بعد النشر الى قضايا رأي عام إلتف حولها المواطنون، منظمات وافراداً. وكذلك تحفل ملفات الصحف برسائل وردت الى كتاب الرأي وتسببت بأزمات بين الصحيفة وبعض الحكومات نتيجة التطرف في عرضها او تناولها موضوعا غير مكتمل او توجه اتهامات لا تستند الى ادلة مادية. ومثل هذه الحالات ترقى الى مستوى انتهاكات ولكنها في الدول الديمقراطية لا تعد كذلك بالنظر لطبيعة النظام السياسي الذي يكفل الحريات وفي طليعتها حرية التعبير والصحافة. فما لم ينشر في تلك الصحف ليس بسبب وجود رقابة او حجب او عدم اللياقة وانما لضيق المساحة او لعدم علاقتها بالاحداث الجارية. وهذا الاشتراط مطلوب لمقالات الرأي ايضا. فالاصل فيها توقيت النشر

وفوريته لضمان ملاحقة الاحداث، تفسيراً وتحليلاً واستخلاص الدلالات والنتائج فيها[10]، وهو معيار قد يميز الصحافة المطبوعة عن بقية انماط الصحافة ، التلفزيونية والاذاعية ، وكذلك عن الصحافة الالكترونية التي يكتفي بعضها بنشر الاخبار فقط او البيانات والصور فقط او المقالات فقط واكثر ما يتجسد النمط الاخير في المدونات الالكترونية . ففي خضم الثورة التكنولوجية التي تشهدها وسائل الاعلام والاتصالات لم يعد المواطن في أي بلد مقيداً بدور المتلقي للانباء بل بات بمقدوره ان يكون احد صانعيها او محلليها. وتسعى المواقع الالكترونية الى ازالة الوسيط بين القارئ والصحيفة اي الغاء وظيفة المحررين الصحفيين ليكون بذلك القراء هم من يحررون الاخبار والمقالات وهم من يقرأونها ويقوّمونها[11].

وتمنح رسائل القراء الادارة الصحيفة مؤشرات على طبيعة الاهتمامات الاساسية بالموضوعات والاتجاهات العامة وتقدم خلاصات مهمة بالمعالجات التي يتعين على اقسام التحرير اتخاذها ازاء قضية او منطقة او شريحة، كما تقدم ملاحظات لاغنى عنها فيما يتعلق بالقرارات الحكومية التي تشمل شرائح اجتماعية كزيادات الرواتب والاجور وتعديل سلم الوظائف والتعليم ونظام القبول والامتحانات ومعالجة ملفات البطالة وتحسين الكهرباء والخدمات البلدية وسواها.

ان نشر صفحة بريد القراء في صحيفة الـ (ديلي تلغراف) على سبيل المثال سواء أكانت في النسخة الورقية أم الالكترونية يخضع لسياقات معينة:

اولا: تعد قائمة بالرسائل المصنفة ، كل منها يتابع جوهر خبر او مقال تناولته الصحيفة (بريد القراء في التلغراف يوم الخميس 2010/10/21 تناول:تأثير مراجعة برنامج مصروفات الحكومة على البطالة، وتأثير مراجعة برنامج الدفاع على امن الامة، وقبول طالب اسود واحد فقط بين عشرات التحقوا بجامعة اكسفورد، عدم وضوح رؤية الكنيسة– الانجليكية – تجاه تعيين نساء كأساقفة، وما يعرض كديكور في الحانات حسب مزاج اصحابه، على

سبيل المثال لا الحصر) . واحيانا يصبح مضمون رسالة خبرا (كرسالة وقعها 30 من مديري كبريات الشركات البريطانية والعالمية حوب برنامج المصروفات الحكومية واصبح خبر الصفحة الاولى في التلغراف ونقلته الاذاعات والوكالات)، وهذا استثناء.

اما القاعدة فحضور محرر قسم بريد القراء اجتماع التحرير اليومي الاول (هناك ثلاثة اجتماعات يومية)، إذ يقدم نسخا لبقية الاقسام من قائمته التي تتضمن عدد الرسائل التي تتناول موضوعا معينا ونسبتها من المجموع الكلي، وداخل النسبة من كل تصنيف، يتم التقسيم العددي/النسبي الى ثلاثة اقسام: نسبة من يدعم رأي الكاتب او اتجاه سياسة الجهة التي تناولها الخبر، ونسبة المعارضين، والقسم الثالث هو من يقدم معلومة جديدة لم تتناولها تغطية الصحيفة او عمود الكاتب او معلومة اضافية تتعلق بالخبر.

ولان الاجتماع يقدم تصورا اوليا لشكل الصحيفة الصادرة في اليوم التالي، واهم ما تتناوله، يتم اختيار المواضيع التي تناولها بريد القراء، إذ يعكس النشر نسبة الاهتمام (ولنفترض ان 64 من 200 رسالة تناولت برنامج المصروفات، و30 تناولت سياسة الدفاع، فتنشر خمس او ست رسائل تعلق على برنامج المصروفات، مقابل ثلاث تعلق على سياسة الدفاع)، وتعكس ايضا نسبة التوافق والمعاكسة (اي لو انتقدت 35 رسالة برنامج المصروفات ودعمته 20 فتنشر رسالتان داعمتان مقابل اربع تنتقد الحكومة) اي تصبح صفحة بريد القراء مرآة صادقة بقدر الامكان للرأي العام لقراء الصحيفة واهتمامهم بالاخبار او القضايا المطروحة، وايضا لاتجاهات تفكيرهم بين مؤيد ومعارض[12].

مفتاح لاستعادة صور الماضي

تتيح رسائل القراء التي تنشرها الصحف اطلالة مثالية على الاوضاع العامة للبلاد والمجتمعات بعد عقدين او ثلاثة او اكثر من الزمان.

فهي توفر فسحة للمؤرخين للتجوال في ابرز معالم الانشغالات المجتمعية فضلاً على اهم معطيات

الحياة بجانبيها السلبي والايجابي، إذ تعرض صفحات القراء بأقلام صادقة ومباشرة المشاكل والمعاناة والمطالب العامة والخاصة وتترجم واقع حال يسود في امة أو بيئة مفعمة بالجدل والتراشق الكلامي والتفاهمات احياناً. كما تقدم بعض الرسائل رؤى كانت سائدة لسنوات بحكم جملة مؤثرات وضغوطات. كما يمكن للباحثين في حقل الاعلام اكتشاف أبرز اتجاهات الرأي والاهتمامات ازاء قضايا الرأي العام، ان ذلك من شأنه ان يحقق فائدتين:

الاولى: تصحيح المسار ازاء المشكلة ذاتها باستنباط حلول مماثلة منتزعة من وقائع التاريخ.

الثانية: تشجيع الباحثين على الخوض في تفاصيل دراسات بحثية قد تلقي بظلالها على واقع مشحون بوقائع ومشكلات مكرورة.

لقد نشطت بعض الصحف في اعادة نشر مقتبسات من صفحات الماضي لتشحذ ذاكرة الاجيال من جهة ووضعها في صورة ما كان يجري من جهة اخرى، وافردت الصحف العراقية ، هذه الايام، عناوين عريضة تحت زاوية (من الماضي السعيد) أو (صحفة ايام زمان)[13] لاعادة نشر مواد مضى على تحريرها قرن او عقود، ولم يتم استثناء بريد القراء من هذا الميل نحو الصحافة بوصفها تحفل بالذكريات وصور الحياة الاثيرة لدى قراء اليوم. ولاشك في ان هذه الصور تعيد اليهم اسماء شخصيات ومناطق ووقائع كانوا شهوداً عليها أو قريبين من تفاصيلها وخلفياتها. كما سعت صحف اخرى الى اصدار ملاحق تعنى بنشر صفحات او مواد من صحف الماضي[14]، وبرغم الاقبال الملحوظ على قراءة هذه الصفحات فان عرضها احياناً في اطار هذه الملاحق يفتقر الى المعايير المهنية والاخلاقية إذ يتم تجاهل مصادر الحصول عليها أو اغفال اسماء محرريها او الايحاء كما لو انها منتج جديد جرى طبخة في اقسام التحرير العائدة الى الملحق المعني، وهو خرق فاضح لمبادئ الملكية الفكرية وعملية استسهال لاتليق بمطبوع صحفي راسخ وحصيف. واذا عدنا الى تجربة الـ (ديلي تلغراف) في اصدار الكتب نجد

انها لم تعمد الى هذه الطريقة في النشر بل كرست كتبها لاسترجاع مواد صحفية من ارشيفها، وهو حق مكفول لها بموجب الاعراف والقوانين، كما ان لها مسوغاتها الموضوعية في الاقتباس او الاستعادة. ففي معرض تسويغها اصدار (مختارات مما نشر من رسائل القراء) قالت ان نشر الكتاب جاء لاطلاق ما كان يكتبه النصف الاكبر من الطبقة الوسطى والضباط المتقاعدين والمهنيين واصحاب الالقاب المحافظين أي ضمير الامة البريطانية الذي يحاول حماية اهم ملامحها الاجتماعية ومثلها العليا من معاول الفوضى التحديثية. أي ان نية النشر تفيد القراء الحاليين في اقتفاء اثر اؤلئك الكتاب الصحفيين– القراء واجراء مقارنة بين تفكيرين ومنهجين في الحياة ، وهي مهمة اجتماعية للصحافة لاتتخلى عنها ويهمها اثبات حرصها على تكريسها في واقع جديد شديد التعقيد والتسارع والفوضى احياناً.أما على جبهة الدعاية فقد امكن للولايات المتحدة اثناء الحرب الكورية تحليل رسائل القراء المرسلة الى الصحف الصينية ، بهدف الاستفادة من نتائجها في شن حرب نفسية ضد الصينيين. وأوضح مشروع معهد ابحاث الموارد البشرية في قاعدة ماكسويل الجوية ان 37بالمئة من الرسائل تعكس السلبية تجاه الفساد والتجار والخونة والقدرة الانتاجية. وقد أوحى ذلك للدعاية الامريكية اهمية التركيز على هذه الموضوعات وربطها ربطا منطقيا بالقاء اللوم على الحزب الشيوعي. وجرت دراسات مماثلة على اوضاع الزواج التقليدي والقوانين الجديدة والاثار النفسية – الاجتماعية لمنع مقايضة العرائس أو ما يعرف في تقاليد بعض العشائر (كصة بكصة) ومنع الزواج التقليدي، واستفادت من الصعوبات الناجمة عنها، كما أجريت العديد من الدراسات المماثلة في الخمسينيات والستينيات، وتراوحت موضوعاتها بين تحليل الجرائم ووصف الديانات المحلية والمحرمات والخلافات العرقية في المناطق النائية ، مما شكل مصدرا للمعرفة النفسية لخبراء الحرب والدعاية الامريكيين[15].

وفي حالة العراق امكن لجيل القراء الراهن الاطلاع، عبر هذه الصفحات، على البون الشاسع بين آليات الديمقراطية في ظل نظام ملكي حكم العراق نحو 42 عاما وممارسة في ظل نظام دستوري جمهوري تغيرت، خلال نحو 7 سنوات، بسببه كثير من صور الحياة والنظرة الى الطبقة السياسية والى البرلمان. لقد عززت صفحات الماضي التي تنشر في الحاضر الحنين لدى القراء وجعلت منهم من يزدري للحاضر ويتباكى على الماضي[16].

رسائل القراء في العصر الالكتروني

يعد التحول الالكتروني في الصحافة ثورة بالمعنى المتكامل، فاذا كان مصطلح ثورة يعني التحول من حالة الى اخرى ، فان الصحافة قد شهدت هذا التحول فعلاً عندما بدأت الصحيفة تتحول من منتج مطبوع الى منتج يتم استقباله على الشاشة ايضاً كما تحول الاعلام من سلعة بحد ذاتها الى عربة تنقل مجموعة من السلع.

وقد انعكس التحول الالكتروني على جميع اركان العملية الاتصالية من المرسل الى المستقبل والرسالة ورجع الصدى، وهذا الاخير هو الذي يعنينا.

فرجع الصدى (Feed back) المتجسد عبر بريد القراء تأثر تأثراً بالغاً بالتطورات التقنية المتسارعة في عالم تكنولوجيا الاعلام والاتصالات، فاكتسب سمات الفورية والمشاركة او المزاوجة بين الاعلامين الالكتروني والمطبوع. وطبقا لتجربة احترافية[17] طويلة لنا ، فان خارطة بريد القراء في الصحافة اليومية تؤكد ان معظم هذا البريد يصل عبر البوابة الالكترونية ومن شرائح تتعامل مع شبكة الانترنت. وقد يكون بعضها بعيداً عن النسخ الورقية للصحف اصلاً، الا انه يتواصل معها من خلال مواقعها الالكترونية.

وهذه الخاصية تتمثل في الكم الكبير من الرسائل الالكترونية التي تصل الى الصحف متناولة اعمدة ومقالات ومواد اعلامية منشورة، او تتضمن مشاركات ثقافية واراء في القضايا اليومية مثل السياسات الحكومية

والازمات السياسية والاحداث الامنية والخدمات . وتطرح رسائل القراء الالكترونية المرسلة الى الصحف الورقية العديد من الاشكاليات والتحديات التي ينبغي التعامل معها بحذر وتانٍ بدءاً باللغة وطريقة الصياغة واسلوب الكتابة والهدف. فالكتابة الالكترونية لها شروطها وعالمها الخاص المختلف عن الكتابة الخطية التقليدية. كما ان تلك الرسائل تكتب في ظل غياب تام عن الرقابة الشخصية والحكومية ولذلك كثيراً ما يعبّر المرسل عن افكار وخواطر وآراء قد يتردد في التعبير عنها لو كان ذلك عبر الرسائل الورقية، وهذا ما يؤكده علم (سوسيولوجيا الانترنت) الذي يدرس الشبكة العنكبوتية من وجهة النظر الاجتماعية بالتركيز على خصائص الشبكة ونوعية الذين يستخدمونها والموضوعات التي يطرقونها[18].

المصادر:

(*) كلية الاعلام / جامعة بغداد.

[1] عادل درويش- ولبريد القراء شروط مهنية- الشرق الاوسط 2010/10/23.

[2] الباحث زار مكاتب مجلة (التضامن) اللندنية في شباط 1990 وأمضى 20 يوماً لمعايشة النشاط الصحفي فيها بناء على دعوة من رئيس التحرير الكاتب اللبناني المعروف فؤاد مطر.

[3] عادل درويش- مصدر سابق.

[4] الدكتور عبد العزيز الخضر اطلق هذا الوصف في محاضرة له بنادي الرياض .انظر: (الوطن أون لاين) السعودية- الاثنين 2010/10/25.

[5] المصدر ذاته.

[6] شكيب كاظم محرر صفحة أغلبية صامتة في صحيفة (الزمان) – مقابلة معه في 2010/10/29.

[7] تمت صياغة هذا التعريف بالتوافق مع د. عمار طاهر – معاون عميد كلية الاعلام- جامعة بغداد.

[8] نجاح العلي ،ضعف التفاعلية في الصحافة الالكترونية العراقية، مجلة تواصل ، هيئة الاعلام والاتصالات، السنة الخامسة، العدد 39 شباط 2010.

[9] شكيب كاظم – المصدر السابق.

[10] راجع: د. احمد عبد المجيد ود. عدنان ابو السعد، فن المقال الصحفي ، بغداد : مكتب دارا للطباعة الحديثة، 2004 . وكذلك راجع: عبد الخالق محمد علي، فن التحرير الصحفي، الرياض: دار المحجة البيضاء، 2010، ص177 وما بعدها.

[11] عبد الحليم محمود، الصحف وايقاع الصحف، بيروت: دار الهادي، 2008، ص128.

[12] عادل درويش – مصدر سابق .

[13] انظر في هذا الشان الصفحة التي تنشرها جريدة (الصباح) البغدادية اسبوعياً في 2010/10/31 .

[14] دأبت صحيفة (المدى) البغدادية على اصدار ملحق من هذا النوع باسم (ذاكرة عراقية) توقف بعد مضي نحو عام على اصداره لاسباب مجهولة ثم عاود الصدور في 2010/11/1.

[15] للمزيد بهذا الشأن راجع : د. أحمد عبد المجيد – توظيف الدعاية في الغزو العسكري الامريكي – من الحرب الكورية الى احتلال العراق – بحث مقدم للنشر في سلسلة الموسوعة – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ،ص31 ومابعدها .

[16] هذا الوصف مقتبس من مقال كتبه محمود سعيد في (الزمان) 2010/10/28.

[17] الباحث امضى نحو 30 عاماً ممارساً في العمل الصحفي وترأس تحرير عدد من الصحف الاسبوعية واليومية.

[18] للمزيد انظر : السيد يسين، النقد الثقافي العربي في الفضاء المعلوماتي، في كتاب :الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة ، جـ 1 ، الكويت : وزارة الاعلام ، 2010 .